بطولات المقاتلين العرب في تشرين خلقت في كل قلب شيئا جديدا ، لقد صنعت الحياة . . .

ثم جاء وقف اطلاق النار ليشد على خناق تشرين .. وتوالى الشد .. جاء ((فك الارتباط)) على الجبهة المصرية .. وترنح تشرين وجاء ((فك الارتباط)) على الجبهة السورية ليلوي عنقه ..

وكان لقاء الابطال الاسرى العائدين من سجون العدو ، بتربة دمشق شرقة الدمع الاخيرة التي غص بها تشرين قبل ان يختنق ..

وجوه هؤلاء الاسرى الابطال ، رغم الجراح ، كانت ما تزال طالعة من حرارة تشرين .. فيما الوجوه الاخرى .. كانت طالعة من براد فك الارتباط ..

وجاء وفد .. من ابناء وارامل شهداء الثورة الفلسطينية يحملون صور الاباء والاخوة الذين قضوا على طريق التحرير ..

فمن في هذه الثورة على استعداد لانتزاع الصور من بين أيدي الاطفال والامهات ليبيعها في جنيف ؟

قد تستطيعون قطع يدي العقيد عدنان خضر الذي بترت ساقاه في تشرين وتعرض لكل ما في سجون العدو .. لكن هل يستطيع أحد ان يقتلع من عينيه ذلك الضوء الحقيقي .. تلك اللمعة الحارة ؟ .

ما هو جنيف ؟ . غير انتزاع تلك الصور من ايدي الاطفال واقتلاع تلك اللمعة الحارة من عيني العقيد عدنان خضر .. ثم بيع ذلك جميعه في سوق النخاسة ؟؟

معركتكم ايها السادة المسافرون ، ليست مع العدو — كما تدعون — انها مع تشبث الاطفال بصور آبائهم الذين قضوا على درب التحرير ومع لمعة الحب الصوفي للوطن في عيون الاسرى الابطال العائدين من بطون معركة التحرير ، وليس من محادثات ((فك الارتباط)) !

فكوا ارتباطكم بما تبقى للاطفال من بطولات آبائهم ، وفكوا ارتباطكم بعيون الاسرى العائدين .. والذين لم يعودوا بعد ..

فكوا ذلك كله .. قبل ان تسافروا فاولئك ليسوا مسافرين .

• • •

في جنيف ، ارتعشت اصابع الضباط السوريين لحظة آن التوقيع على اتفاق ((الفصل ..)) .. هذه الاصابع التي عاشت ستة وعشرين عاما على الزناد .. تتشهى لحظة انفجار اللظى ، فيها كل عطش التاريخ للحظة المجد .. كان صعبا عليها ان تختنق شعلتها المقدسة بحبر التوقيع في جنيف ..

فوجئت ؟ . قد يكون لا ..

جبنت ؟ . قد لا يكون لا ..

لكنها دهشت لحظة الحقيقة .. فخجلت ..

وجدت نفسها امام نفسها ، وجها لوجه مع العدو الذي انتظرت سنينا طويلة لمقارعته ..

طريق جنيف .. وطريق الداخل في زحمة البحث عن القرار !!

وجدت نفسها تلتقي به لتوقع معه وثيقة تصفية القتال ..

فدهشت لحظة الحقيقة .. وخجلت ..

ولم يكن بالامكان فعل اي شيء .. كانت الامور تجري بقوة اكبر من انفاس عناصر الوفد..

فما كان من تلك العناصر .. الا ان قررت :

اذا كان لا بد من التوقيع .. فليكن ذلك في العتمة .. وطلبوا اخراج الصحفيين والمصورين من القاعة .

• • •

القاعدون في هيلتون وشبرد بالقاهرة ، يبحثون عن القرار الفلسطيني بين اروقة هيكل الجامعة العربية ، فيما تتطلع اليهم انظار جماهيرنا من بين ثقوب الزنك في المخيمات .. هل يا ترى يعلمون اين القرار الذي يبحثون عنه ؟

انه بالقطع ليس في جيب اسماعيل فهمي .. ولا تحت عباءة الامير فهد المقصبة ..

انه بالقطع ليس تحت اية ياقة قميص منشاة..

انه بالقطع لن ياتي مع فاتورة الحساب في احد مطاعم شارع الهرم ..

القرار بعيد جدا عن كل ذلك ..

قبلكم — ايها السادة — كان لنضال شعبنا الفلسطيني قادة ، وكانو محبوبين من الشعب كما انتم الان او قبل الان .. واكثر من مرة كان بعضهم يستجر بعيدا عن مواقع الجماهير ليحث القرار المصيري في اروقة الحكومات العربية .. كان ياتي ويتكلم باسم الشعب المقاتل .. يتكلم بنفس الحدة والعصبية التي تتكلمون بها ، وينفعل اكثر .. ويتمسك بحقوق الشعب الفلسطيني يتمسك ويتمسك ويتمسك ..

ثم يجد نفسه ممسكا بشيء اخر .. يجد نفسه مقرونا الى عجلة تلك الحكومات بعيدا بعيدا عن مواقع الجماهير ..

وبعد ذلك ينتهي هناك ولا يعود .. ثم يطويه النسيان .

اتريدون اسماء ؟

ام انكم تعرفون ؟

بدون .. اسماء .. لا احد ينسى الانقاض التي بني عليها بيته ... وان كان ينسى كيف تحولت البيوت السابقة الى انقاض ..

غدا .. نعم غدا .. عندما تبتعدون الى لحظة النسيان الجماهيري .. ويخرج من شعبنا الف فاتح من يونيو .. سوف تعلمون كل شيء .. سوف تعلمون كم كنتم في ضياع وانتم تبحثون عن القرار ، حيث لا يوجد القرار ..

القرار .. ايها السادة .. ما زال تحت سقوف الزنك .. اذا اردتم ان تبحثوا عنه ، قبل ان تنتهوا الى حيث لا تجدون احدا يبحث عنكم .

• • •

يتحدثون هذه الايام جدا .. عن ان فك الارتباط في مصر وسوريا ، قد اغلق الطريق امام الفدائيين للقتال في الداخل ..

من المؤكد ان هؤلاء المتحدثين لا يعرفون الطريق الى الداخل .

نزار سمعان